العيش في مرابع البادية

من المعروف لدى قبائل البدو أن لكل قبيلة مرابعها في حدود المناطق الخاضعة لانتشارها وهي مشاع أي ملك لكل العشائر والعائلات التي تتبع القبيلة، أما في الظروف القاسية القسرية مثل حالات الجفاف أو قلة الأمن، هنا يضطرون إلى الانتقال إلى مناطق بعيدة وفي مرابع قبيلة أخرى فيجب هنا استئذان القبيلة صاحبة تلك المراعي والأراضي حيث له حق الرفض أو القبول.

وغالباً البدو يستعدون للإنتقال إلى المرابع بعد انتهاء فصل الشتاء حيث يقومون بالبحث والسؤال عن الأرض التي ارتوت بالأمطار والتي عادة تكون خصبة وغنية بالنباتات والأعشاب، إضافة إلى توفر مصادر المياه بها من آبار وعيون طبيعية، حيث يقولون في المثل: «عين القاني ربيع الثاني».

والقاني: هو صاحب الحلال من الإبل والغنم والماعز.

حيث أن نظرته الثاقبة إلى اختيار المكان الأصلح للرعي قلما تخطئ.

إذا حدد البدو ساعة الرحيل من مشتاهم إلى مربعهم فهم يبدؤون بطيء بيوت الشعر لحفظها إلى الشتاء القادم.. ويقومون كذلك بوسم الإبل غير الموسومة وهي عادة التي اكتمل عمرها الثاني وذلك بوضع وسم القبيلة عليها بطريقة الكي حيث أن الوسم يسهل عليهم التعرف عليها إذا ما اختلطت في المرابع حيث أنه من المعروف أن البدو يطلقون إبلهم للرعي في الخلاء وهي الفترة المسماه «همال» أي إهمال الإبل في المنطقة المسماه كما ذكرنا سابقاً المهمل، حيث يتركونها لحال سبيها تبحث عن الكلأ والعشب، كما يقومون بوسم الغنم والماعز بقرض طرف آذانها.

وعند استقرار الرحل في المكان الذي اختاروه لمرباعهم تجدهم قد قويت عزائمهم ونشطت هممهم فعند الفجر يتسابق الرعاه حيث يختارون من أماكن الرعي المكان الذي لم يسبقهم إليه أحد من قبل حيث يستمرون على هذا الحال حتى زوال الشمس ومن ثم يبدأون العودة حيث يصلون مرباعهم مع ساعات المساء وحلول الظلام.

وتعتبر فترة الربيع التي يقضيها البدو من أفضل فصول السنة وذلك لكثرة توفر اللبن والحليب حيث يصبح الطعام الرئيسي ويتناولونه مشروباً أو مغموساً بالخبز والسمن.

إضافة إلى نشاط تجارة الحلال بأنواعها من إبل وغنم وماعز مما يؤدي إلى قوة الحالة الاقتصادية لديهم التي تساعدهم في التربية والعمل والزواج والتجارة.

تقول الشاعرة بنت مرجاح الشلوي:

وأنا يوم أفكر ما بقالي ولا معلوق

معاليق قلبي محرقة كنها البنه

أبالي محل بين خبه وبين عروق

وابا أشوف غزلان المها يوم يعطنه

واشوف الدبش واشوف راع معه ملحوق

يرد العشائر واول الخفت فاتنه

oberkanal.com